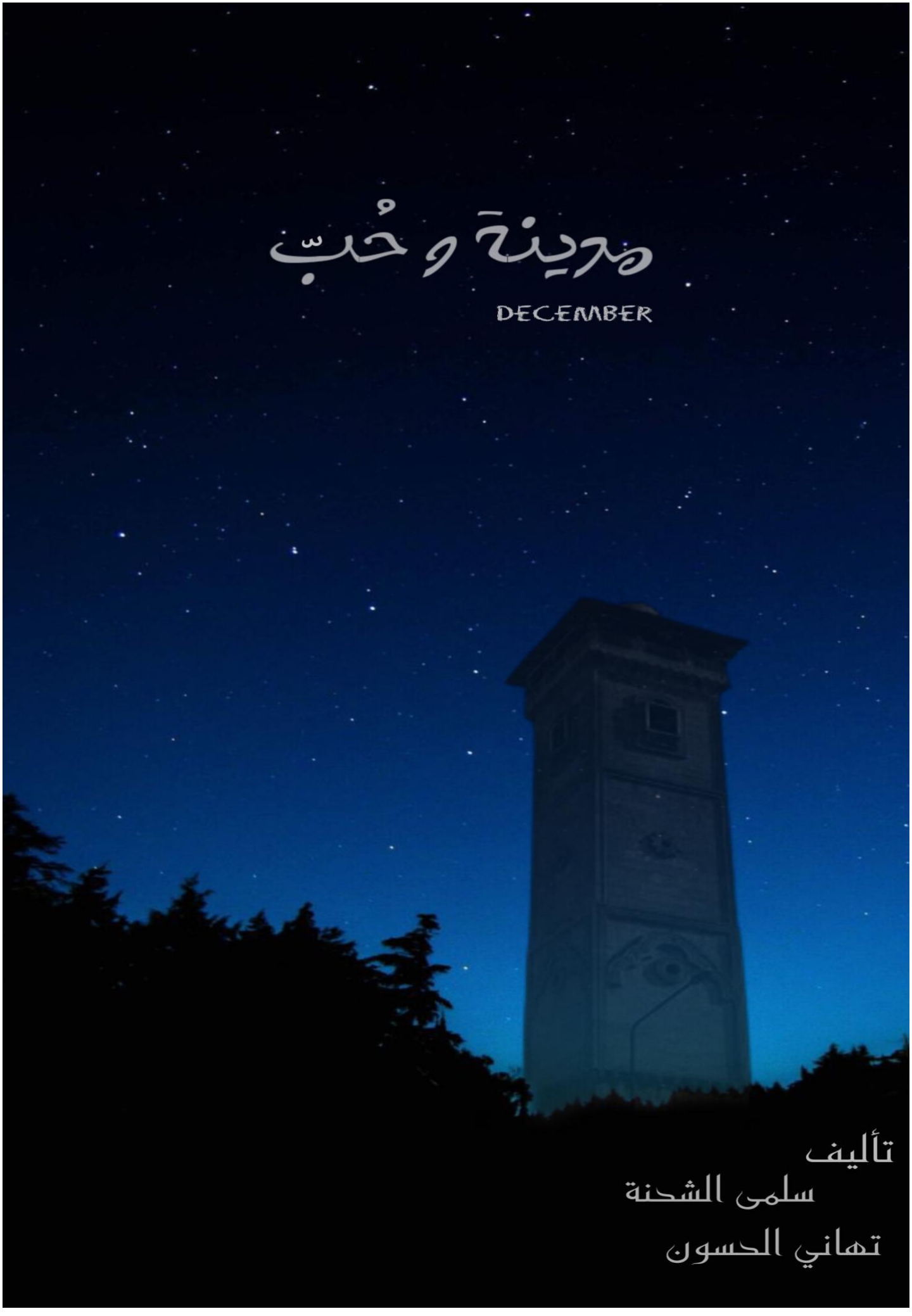

تأليف
سلمى الشحنة
تهاني الحسون

خارج السرب

لم أكن في يوم من الأيام شاعرٌ أو مؤلفٌ، ولكن بفقدانك أصبحت أضاهي أشعر الشعراء وأمهر الأدباء.

لقد ولدَتها الأرضُ بعد حملٍ طويل، بعد أن علّمتها أن كل ما في الحياة جميل، وقطعت حبل

سرها بإنجاب شاعر وفيلسوف كبير قائلاً منذ خروجه من بطنها:

هذا ما جناه أبي علي وما جنيت على أحد

ليلة سقوط القمر

في الثامن والعشرين من الشهر الأول عام 2020م تاريخٌ لا ينسى، لقد كان ذاك التاريخ محفوراً في ذاكرتنا وقلوبنا. كانت ليلة الألم الممزوج بالفرح.

وهل الآلام والفرح يجتمعان معا. نعم، الفرح كان أننا رغم القصف والظلم سعداء لأننا مازلنا في مدينتنا،في بيوتنا الدافئة، نستنشق هواء مدينتنا، هواء حبيبتنا.

أما عن الأسى فذاك إن كتبنا عنه طوال عمرنا لم ننته منه، فتلك طائرة يليها عشرات القذائف ومروحيةٌ يليها الكثير من البكاء والنواح والدموع، لله در الموت إنه بتر جزءاً من الروح والقلب والطريق.

آه من الطريق!

لقد كان بعيداً بعيداً كل البعد عن ناظرنا، لأننا لا نعلم إلى أين سنذهب، نعم فقط إننا نريد الهرب إلى مكان لا ألم فيه.

لقد أبادوا أحلامنا ودمروا مستقبلنا وشوهوا جميع ذكرياتنا.

ما قبل الرحيل

لقد كان ملك الموت يلف شوارعنا صباح مساء

كان يخطف أرواح الأطفال والشباب والنساء والشيوخ

كان لا يميز صغيرًا ولا كبيرًا...

كان يقبض الأرواح على شكل أجزاء

يفتت الجسد قطعًا قطعًا

كانت مقابرنا تبكي سكانها

كانت دماءنا تروي ترابها..

لقد بدل هذا الموت رائحة الياسمين المعتق برائحة الموت والبارود

كانت الثكالى تنوح أولادها وهم أولادك

لقد تنوع الموت فيكِ حتى بديتِ كالخنساء تبكي أخاها صخرًا...

يا معرتي لا تحزني إنهم شهداء مثل أولادها

مطر وذكراكِ

يوم مليء بالمطر لكنه بالنسبة للمبعدين عنكِ هو يومٌ مليءٌ بذكرى الحنين إليكِ يا معرة النعمان.

المطر يشبهك، المطر يذكرنا برائحة ترابها.

المطر قبل الرحيل عنكِ كان عبارة عن حُب وعبادة، لكننا الآن مع كل حبة مطر نتألم...

ألمنا ليس جسديًا وإنما عاطفيًا

يمكنكم القول بأنه ألم مفارق

المطر هذا الشتاء جاء على هيئة ذكريات مؤلمة.

ذكريات محزنة..

مطرٌ لا يشبه مطرها، مطرٌ مخيفٌ مرعب.

يُبلّلُ الأرض هنا دون رحمة

لقد كان المطر بها رحيمًا يتساقط بهدوء ويشكل فوق إنارة الشوارع نقطًا كاللؤلؤ المنثور.

المطر هنا أسودٌ مخيفٌ، يمنع التجول في الشوارع.

أما مطركِ فكان للمشوار تحته خير صديق

ربيعها الزاهر

ودعت شتاءها وشربت أرضها ماء زُلالًا من سحاب السماء الطاهر

وتعقمت ذرات ترابها من البرد والثلج، وبدأت أرضها الطاهرة تتشقق، ويخرج منها أجمل الأزهار.

كانت أزهارها بكل الألوان ومن كل الأصناف، كانت براريها تفوح عطرًا جبليًا يبعث بالروح الطمأنينة والسكينة...

كان ربيعها أخضرًا سندسيًا، وكانت سنابل القمح منها تبشر بالخير.

كانت عصافيرها وطيورها تغرد كأنها في جنان النعيم

كان شعبها ينتشر تحت الأشجار في أيام الجمعة والنزهات الجميلة، حيث يلعب أطفالها فرحين بحضنها الدافئ الحنون تحت شمسها المعتدلة.

إن بين المعرة والربيع قصة حبيبين لا يفترقان.

وفي أرضها الحبيبة بدأت سنابل القمح تتلون باللون الذهبي، وأصبحت شمسها تكبر، وتصبح قادرة على بعث الدفء.

بدأت أسراب السنونو تتراكض تحت سمائها تعانق مآذنها وتسللت نسمة الصبا في فجرها معانقة أصوات أذان الفجر في مآذنها.

وبدأت بساتينها بإنتاج الثمار والخضروات المروية بالماء العذب من آبارها، وقد كان ماؤها عذبًا فراتًا.

حيث قال شاعرها:

"هذا ماؤها فكيف هواؤها"

صدقت يا أبا العلاء، يا من شربت من مائها، وتنفست هواءها، فكتبت أجمل القصائد وأروع الأشعار التي خُلدت حتى الآن منذ أكثر من ألف عام.

وفي صيفها تحلو جفنات العنب، ويحلو تدنيها من عرائشها، وتنضج ثمارها التي تشبه في مذاقها ثمار الجنة.

إنه الصيف يأتي ويذهب عنكِ، ولكنه خيال بالنسبة لنا لا نراه إنه متمسك بكِ أكثر منا فما زال يزورك كل عام لأنه صديقك الوفي وهو نعم ما كان الصديق.

أما نحن فلا نزورك إلا بالخيال فيا ليتنا صيفك الوفي الذي يزورك كل عام.

وماذا أحدثكم عن خريفها الذهبي وعن أوراق أشجارها التي كانت تتسابق نحو الأرض لترصف الطرقات بلوحة فنية رائعة، تجمع ذكريات الفصول السابقة، وقد تساقطت مشيرة إلى تقادم الزمان وتسارع الأحداث.

لقد رصفت أوراق الخريف الطرقات والحارات والبراري بنوع من أنواع السجاد المنسوج بأجمل الألوان.

كان حفيف أوراق الشجر أجمل سنفونية سمعتها أذناي.

كنت أتجول فوق أوراق الشجر لأستمع إلى ذلك الصوت الهامس والذي يخفي الألم الذي تحولت فيه الأوراق من اللون الأخضر النابض بالحياة إلى اللون الأصفر الشاحب.

وأشجارها التي خلعت جميع ملابسها لتشكل أغصانها رسمًا ربانيًا.

كانت غيومها سمراء الهدب، وأناشيد الطيور المهاجرة تشدو مودعة سماء المعرة وتسألها ماذا نحضر لكِ في العام القادم فنحن عائدون إليك يا حبيبتي.

فأرواحنا وسماء المعرة وشجرها عقد يدوم مدى الحياة.

شوقٌ موجعٌ

شوقي لك بدأ يوجعني

كفى أراكِ في كل الأماكن

في كل الطرقات.. في الأزقة والحارات

كفى عليكِ أن تظهري بفستانكِ الأزرق

فأخطئ وأقول لكِ توقفي

تركضين إلي بلهفةٍ، تمسكِ يدي بحنان

تغني لي

تحضنني حضنة المغترب

هنا ينتهي الحلم...

أصحو والضحكة تملأ مبسمي

أيقن فجأة أنه حلم.

وإني لست بمعرة النعمان

فأعود ملتفتًا متقوقعًا وحزينًا وكلي خيبة

أحببتُ تلك المدينة

من الممكن أن تحب مدينة بأكملها بسبب شخص نعم من الممكن، فها أنا أحببت مدينة من أجل شخص واحد، حبي لها ليس لأنها مدينتي، بل لأن حب حياتي تواجد وولد فيها.

شخص واحد جعلني هائمة بمدينة كاملة.

سوداوية هذا الشخص وضعتها شامات سوداء على خدي.

أما محاسنه جعلت منها تاجًا أردُّ به شعري عن عيناي اللتان لا تران سواه.

أما فوضاويته فهي حياتي عندما لا يتواجد فيها

وكيف أصف صوته؟!

يمكنني أن أقول بأنه يشبه أمان معرة النعمان قبل الحرب.

صوته يشبه دفء بيوت تلك المدينة التي أحببتها بسببه هو.

إنه يشبه معرة النعمان

يعز علينا غدا أن تعود ... رفوف الطيور ونحن هنا

يعز على قلبي بعدي عنكِ

يعز عليّ فقدانكِ

يعز عليّ أن يمشي على أرضك الأعداء

أن يسكنوا بيوتكِ

أن يتنفسوا هواءكِ

أن يتنعموا من نعيمكِ

يعز عليّ عودة الرفوف

عودة الطيور

عودة كل مقومات مدينة الحب دوننا نحن

فلا المدينة مدينتهم

ولا الأرض أرضهم

إنها معرتنا..

كل ما فيها لنا

وكل ما تحتويه هو لنا

يعز علينا أن تعود الرفوف دوننا نحن

سنعود سويًا..

وسأقول حينها:

" عادة الرفوف وعدنا... عادة المعرة وعدنا.... عدنا وعادت الطيور"

غربةٌ وأنت

بعيدةٌ كلّ البعد عن معرتي
لكن بعدي عنها هو بعد مسافات لكنَّك أنتَ
قريب مني لا مسافات بيننا وتجعلني بعيدةٍ عنكَ
كُل البُعد
لم أقتنع يوما بمقولة البعيد عن عينيك بعيد عن
قلبك
لا يوجد يومٌ مرّ على قلبي وكنت أنتَ بعيد عنه
لكنني لست متأكدة بأنك أنتَ كذلك
منذ أن ابتعدت عنك بضع مسافات
وأصبحت لا تراني كل يوم... وكل ساعة
تبخر حبك
لم أجدك متمسكًا، لم أجدك بجانبي

أحببتك رغم أني كنت متأكدة بأن حصولي على عيناك يحتاج معجزة

وربما يحتاج أن أحارب بك قبيلةً بأكملها

متمسكةٌ بك كأمل غريقٍ يتمسك بقشة لكنني الآن أجدك متخلياً عني كل التخلي

يا حسرتي!

لا معرتي لي

ولا عيناك

ذكرياتٍ وأمانة

استودعت فيكِ عند الله حديقتي الصغيرة، ليمونتي،ياسمينتي،جدران مدرستي

مسبحي المتواضع،بيوت جيراني،هرتي المسكينة

استودعت فيكِ ماضيّ.

استودعت فيكِ فرحتي بأرجوحة العيد، استودعت فيكِ تكبير المآذن بالأعياد

سمعت بأن جميع المآذن بكِ سكتت عن التكبير

استودعت فيكِ حانوت حارتي، أصوات جيراني وهم يندهونني

استودعت فيكِ قبر جدي وجدتي

استودعت فيكِ قبر شاعرنا وفيلسوفنا أبي العلاء،استودعت فيكِ شعره وفلسفته وحكمته

استودعت فيكِ كتبي.. دفاتري التي تركتها فوق مكتبي

استودعت فيكِ ذكريات الطفولة.

استودعت فيكِ سيري على طرقاتها إلى مدرستي.. إلى متحفها العريق.. إلى جامعها الكبير

كنت أود أن أكبر بين ساعديكِ وأنعم في حضنك الدافئ، ولكن يا للأسف

مزقوني ومزقوكِ، وأخذتني الرياح بعيدًا

إلى هناك.. إلى الغربة الطويلة في الشمال السوري ولطالما كان الشمال باردًا لأنه بعيدٌ عن دفئكِ يا معرتي..

فيا ربّ هل من نسمة تأتي منك ،فترجعني إلى أفراحي.

عبقُ الياسمين

مُحتفظ بصورة لي التقطها بجانب بائع الورد
في شارع الكورنيش
في ذلك الوقت التقطها تحت مسمى الذكرى
لم أكن أقصد أنها الذكرى الموجعة
والتي سأتذكرها وأنا خارج المعرة بعيدًا عن
الكورنيش.
إنما ذكرى أريها لأولادي وأحفادي بذات المكان

ونلتقط صورًا أخرى أيضًا ونضعها للذكرى...

جففت الكثير من الياسمين الذي كان يمتد على حائط موجود أيضًا في شارع الكورنيش

كي تنتشر رائحته داخل بيتي ويخفف اشتياقي لمعرتي وأنا مقيم بها

لم أجففه لأنني كُنت أعلم أنني سأهاجر منها وأبتعد عنها

فيكون الياسمين وسيلة تخفف من اشتياقي لرائحتها

قمت بالاحتفاظ بالكثير من الورود، الياسمين، أوراق الشجر.

خبأت منها حتى عبوةٍ من الماء المقطر.

جففت فواكهها واحتفظت حتى بقصب السكر...

كل هذا ولم أكن أعلم بأنني سأُهجر.

فكيف لو كنت أعلم؟!

سنعودُ إلى معرّتنا

سنعود يومًا إلى حضنها

سنعود لنبكي عندها

ونرقد نيامًا بعد عناء.. بُعدٍ طويلٍ عن رؤية وجهها الضاحك الباكي

سنشرب من مائها العذب الفرات ،ونأكل من خضرتها زاهية الخَضار

ونستنشق من هوائها العليل

سنعود يوماً تحت سمائها..تحت ظلالِ أشجارها

سنشعر بالدفء الأبدي تحت شمسها..

سنركض في حاراتها وأزقتها

سنبحث عن بيوت أصحابنا وأصدقائنا، عن بيوت أقاربنا

سنعود لنمشي في شوارعها،نعدُّ أشجارَها وحجارة أرصفتها

سنمتع ناظرنا بآثارها وتاريخها العريق

لن يكفينا ما بقي من العمر لنشبع من رائحتها المعطرة بذكريات الطفولة

سأركض جريًا باتجاه باب مدرستي باحثة عن صفي ،عن مقعدي

عن سبورتي ..

عن تاريخي أحلامي، عن تاريخ آلامي

وأنا أعرف أني لن أموت إلا بين يديكِ يا معذبتي بأفراحي وأحزاني

واقعةٌ بغرامك

غرامٌ مختلفٌ هذه المرة

مغرمةٌ أنا بمدينةٍ اسمها معرة النعمان

مغرمةٌ وبمدينة؟

نعم بمدينة من أخبرك بأن الغرام يكون فقط بأشخاص

أنا مغرمة بشوارع هذه المدينة

بهواء هذه المدينة

بسمائها وغيومها...

برائحتها أيضا

نعم مدينة ولها رائحة؟

نعم رائحتها ياسمين تعبق من جدران بيوتها القديمة

مغرمة بتفاصيلها...

بصوتها حتى بحزنها

مدينة وحزينة؟!

نعم هي الآن محتلة فهي حزينة

أنتِ المعنى

وراء كل كلمة حبٍ أكتبها أنتِ

أنتِ من جعل لأيامي شكلاً لا ينسى، وربيعًا لا يفنى

أنتِ كل الابتسامات المرتسمة على وجهي

عندما وقع ثقل العالم أجمع فوق صدري

وأنتِ المنفذ الّذي يبث لحياتي النور ولفؤادي البهجة

معرتي...

أنتِ التي فقدتها وما زلت أحبها

لذلك دعينا نلتقي...

ولكن، أين؟

بين طيات وثنايا دعائنا.

في الثلث الأخير من الليل.

بين تلك الدعوات الماكثة في أفئدتنا

بين كل أذان وإقامة

مع كل قطرة مطر تهطل في غربتنا

لتتواصل قلوبنا بالدعاء غيبًا

ليكن سلاحنا لحين لقائنا إنه دعاؤنا

فلكِ منا كل الدعوات

محتارةٌ جداً

هل البعدُ هو بعد مسافاتٍ، أم بعدُ قلبٍ؟

ربما هو بعد مسافات في نظر أحدهم

وربما هو بعد قلب بنظر الآخر

أما بالنسبة لي هو بُعد مدينة

بعدي عن مدينتي هو بُعد مسافات وبُعد قلب

يضم الخيارين

ها أنا هنا بعيدة عن مدينتي، فاقدة لقلبي أبحث عنه هنا وهناك

فقلبي ليس معي

هو بعيد.

وأنا الآن مشردةٌ بعيدًا عن مدينتي

أبحث عنها وأنا أعلم جيدًا أن طريق وصولي إليها بعيد

لكنني مشلولةُ القدمين

مبتورةُ الذراعين ...فاقدة للبصر

كل هذا حدث عندما احتلُت معرة النعمان

لا أكذب عليكم ربما أضعت قلبي فيها

ربما في شوارعها فُقد...

أتيت إلى هنا فاقدةَ الشعور، فاقدة للجسد

البعد يا سلمى هو بُعد مدينة

صباحُ الخير

صباحُ الخير يا عروسةَ المدن

صباح الخير يا أم الأحرار

صباح الخير يا حبيبة سمراء.... تحوم كعصفورة فوق الدار

يا زهرة تفتحت من دماء الشهداء

تفوح رائحتها فتملأ الكون عطرًا وبهاء

صباح الخير يا سيدتي...

يا أميرتي...

يا ذات العينين السوداوين

يا مدينتي ومستقري...

أفيقي من ثباتك فقد طلعت شمس الصباح

أفيقي لكي أرقد على صدرك، وأشتكي لك همومي وأحزاني.

أفيقي لكي أنام على فخذيكِ، وابكي همومي الثقيلة

أمي المعزة...

أمي الحزينة...

أفيقي فقد طال نومك

فإن النوم لا ينفع الأموات

مساء الذكريات

عندما يأتي المساء وتبدأ السهرات الوردية على الشرفات التي تدلت منها أوراق شجر اللبلاب.

تتباهى شعوبها ببلادهم ويرفعون رؤوسهم بحضارتها ويطلبون ويزمرون بأمانها و ينعتونها بأجمل الصفات.

أما أنا؟!

عندما يأتي المساء أضع كفيّ على وجهي مطرقة الرأس، عابسة الوجه، حزينة سقيمة، لا أملك بين يدي ولا في جمجمتي، إلا بضع كلمات نامت فوقها الذكرى، تشبه صخرة صماء جاثمة فوق صدري المعذب بآلام الحنين.

رحمكِ الله يا معرتي.

أعانك الله من عذاب الوحدة والاكتئاب.

فالمساء عندي من بعدك عقدٌ نفسية، وحالاتٌ مرضية

لا تصلح للسهرات المخملية، إنما للأسى والحزن من بعدكِ يا معرتي الأبية.

أنتِ مهما جرى فيكِ فإنك بعيني أجمل صبية.

قطعةٌ من الماضي

دماؤك الحمراء تجري في عروقنا

تجعلنا نحسُ بحسكِ

ونشعر بشعورك

ونبكي لبكائك...

فأنتِ الأم الحنون التي حملتنا وأنجبتنا فوق ترابها

واحتضنت تحت التراب أجساد أجدادنا وأمجادنا

لقد غذت أجسادهم أشجارها وأزهارها

إننا نرى فيكِ الماضي والحاضر والمستقبل فما زال حبل السر موصول بيننا نتغذى من عقيدتكِ التي أرضعتها لماضينا.

أنتِ يا ذلك الماضي القريب البعيد

أنتِ يا ذكرى بين طيات الفؤاد تخنقني وتعود.

أنتِ فلذات الأكباد للأحياء والأموات...

أنتِ الذكرى وأنتِ النسيان ما عاش فيكِ من بشرٍ غريبٍ إلا وعاد إليكِ من طول اشتياق

فما بالكِ يا معرتي...

تتباهين بأنكِ أنت أول وآخر العشاق

سنعود يوماً فوق ثراها

سنعد حبات الثرى فيها

سنقرأ جميع كتب أمجادها وتاريخها سنزور أمواتها ونتفقد قبورهم

سنقرأ الفاتحة لهم

سندعو لهم

سنذكر مآثرهم

سنصل ليلها بنهارها

وصبحها بعصرها

سنبقى يقظين فاتحي عيوننا لنكتفي من النظر إليها

يا معرتي ليس بالدنيا حبًا يعادل حبك

فأنتِ الحبيب وأنتِ القريب

وما الحب إلا للحبيب الأولِ

فأنتِ الحب الّذي سجد عنده الرجال

وأنتِ الظل وأنتِ الخيال

وأنتِ الموت وأنتِ الحياة

سنعود إليكِ رغم أنوف الغاصبين

ورغم جحد الحاقدين

سنعود إليكِ بالسلم أو بالسلاح

سنعود إليكِ بالنضال أو بالكفاح

دعاءُ محبّ

دعائي إليكِ يطربني..

دعائي إليكِ يجتاز البراري

متجهًا إلى عنان السماء

معرتي متى يغادر جسمك السقما

أدعو إليكِ يا عزيزتي متوسلًا إلى الله أن يشفيكِ من غضبٍ حلَّ بكِ حتى صرتي هيكلًا للعظما.

متى يكسو عظامكِ لحمًا

ومتى يجلو عن رأسك ذاك الألم

معرتي يا بلد الأعمى البصير أبي العلاء

انهضي وانفضي عنكِ غبار الحرب والتعب

متى أراكِ كالصبايا على نبع ماءٍ

تملأ القربة ماءًا وبلسما

لأرتوي بشربة منه أعود بها إلى الزمان الأول

بين حنايا القلب، ترتقد داخل أعمق نقطة في قلبي تستريح من آلام الحرب

مدينة الحب..

مدينة الحرب..

مدينة الذكريات الموجعة..

مدينة الذكريات المفرحة

نتساءل:

ما هذا التناقض؟!

تارة نصفها بالفرح وتارة بالحزن

لتكون الإجابة:

هذه المدينة كُلّ ما فيها كل ما تحتويه يكون بالنسبة لنا نحنُ عبارة عن راحة،واطمئنان

رُغم الحرب والقصف

ولكنّ شوارعها وبيوتها وأشجارها وحجارتها وأرضها نجدهم في أسفل نقطة حزينة

في قاع الأرض...

لم يبقَ منهم سوى الفُتات

لا زلنا أحياء ولكننا على هيئة أموات

فاقدين لأمل النجاة

سنعودُ يوماً

العودة إليها شبه مستحيلة

ربما يحتاج معجزة في وقتنا الراهن

لكننا وضعنا كل أوراق خسارتنا أمامنا مكشوفة للجميع

وصرخنا لهم بأننا باقون ما بقي الأثر

باقون ما بقي الزيتون الأخضر

عائدون ولو أعادونا وكان سكننا الخيام

سنعود ولو كان فطورنا قليل من الشاي مع الخبز المحمر

أخبروهم بأننا سنعود... وتعود المعرة

صرخنا وصرخ الساروت معنا

وهتف بأنه سيبقى على عهده

سيضحي بنفسه وروحه

من أجل النصر

من أجل الثبات والبقاء

من أجل الأرض

ومن أجل العودة ...لكن للأسف..

لا عادت المعرة، ولا بقي الساروت

فهل يا ترى سنعود؟!

ربما لا!!!

لقد دقوا مسامير نَعشك بالرصاص أولئك الأوغاد

لقد تآمروا على قتلكِ أولئك الغاصبون

وقلعوا أشجار زيتونك الأخضر بآلة الحرب والحقد.

قتلوكِ،ثم بكوا عليكِ

أرادوا نقلكِ إلى العالم الآخر

لكن روحكِ الطيبة انجاها الله من بطشهم كما أنجى سيدنا إبراهيم من النار

أنتِ الشهيدة الحيّة على ما فعل بكِ الظالمون

أنتِ من نشرتِ الرعب في قلوبهم حتى اغتالوكِ،وأنتِ الصابرة الشامخة

ليتني أستطيع فداؤك بروحي

معرتي، عصفورتي، قصيدة شعري الباكية

انهضي وقومي فإن للباطل جولة ولكن للحق جولات...

ستعيشين بعد قتلكِ ألف مرة فأنتِ صاحبة قلب نابض شفاف

فأنتِ لا تموتين يا شهيدة المدن

أنتِ حية ترزقين

شهداؤنا وردٌ

تناثرت الأشلاء في كل مكان...

يد هنا، قدمٌ هناك، أشلاءٌ مبعثرةٌ في كل مكان

انظر هناك قلب ما زال ينبض مرتميًا... ملطخ بالدماء على قارعة الرصيف،ينبض دون توقف.

عزّ عليه أن يتوقف نبضه فتموت معرة النعمان

نبض ونبض حتى تسربت كل قطرة دم فيه فجفّ، سكت...

صحيح أنه جفّ ولكنه حاول بشتى الوسائل ألا يتوقف عن النبض

وهنا تظن معرة النعمان أنه أراد أن تموت،

هو لم يرد موتكِ هو حاول رغم أنه جريح

قاوم الموت على الرغم من تدفق الدم منه

روى الأرض بدمه، وحاول ألا يفقد مدينته معرة النعمان، لم يفتكر بنفسه أبدًا، همه الوحيد كان أنتِ، معرته، حبيبته، عشيقته، أنيسته.

توقف نبضه ومع مرور بضع من الوقت نبت الورد الأحمر بذات المكان الّذي أُصيب فيه.

رائحته كانت ملفتة، خليط من رائحة الشهداء الذين سقطوا أرضًا وأشلاؤهم بعثرت في كل مكان.

وفي ذات الوقت كانت رائحة الورد برائحة معرة النعمان.

هو لم يخذلكِ، قد حاول البقاء لأجلكِ

ضحى بنفسه حتى لا تموتين.

رائحتكِ هُنا في كل مكان

لا تحزني أنتِ وشهداؤك هُنا عالقون

نجوتُ من الموت لكنني لن أنجو منكِ

لن أنجو منكِ معرتي

علِمتُ أنني وأنّ أشباهي في هذه الحياة نعيش على هيئة أموات!

أتناقضُ ذاتك؟!

أنا حيٌ شكليًا لكنني من الداخل أنزُف

أنزُف جرح معرة النعمان

أنزف شوقًا لمعرة النعمان

لم أنجُ منكِ، بات قلبي غريق

روحي تُناجي أتسمعيها!

عيناي تُناديكِ... أشعرتِ بها

أنا الّذي نجوتُ من الموت

حميتُ نفسي من قذيفة

اختبأتُ في ملجئٍ خوفًا من صاروخ

خرجتُ ليلًا راكضًا بالأراضي الزراعية خوفًا من مروحية

ظننتُ أني نجوت من الموت

لكنني تيقنّتُ أن الموت أحن عليّ من فقدانكِ

يا ليتني متُّ بصاروخ وتناثرت أشلائي ودُفنتُ تحت ترابكِ.

الاعتياد على فقدان مدينتك خُدعة

الاعتياد أو ربما يمكننا القول التأقلم يمكنه التغلب على أكبر ذكرى

يمكنه الانتصار على أكثر حادثة مؤلمة حدثت معك،أن تعتاد بأنك فقدت شيئًا كان تعلّقك به بلا حدود هو بحد ذاته جهد كبير أو ربما إنجاز يستحق أن يؤرخ.

من كلامك هذا أُيقن بأنك اعتدت على فقدان معرة النعمان

مدينتك تلك التي رثيتها بمئات الأشعار!!

يوجد فرق كبير بين أن اعتاد على فقدان الأشياء أو اعتاد على فقدان الأشخاص لكنَّ من الصعبِ جدًا أن تعتاد على فقدان وطن

لقد صنعت حيلة خدعتُ بها عقلي

أُريد منه أن يعتاد على فقدان المعرة

أن يعتاد على عدم تواجده فيها

أن يخفف ألمي لكنه رفض رفضًا تامًا لهذه الفكرة

منذ أربع سنوات وهو في حالة صدمة

صدمة نكران أن معرة النعمان مُحتلة

تريد مني أن أقنعه أن يعتاد دونها!

هو ما زال إلى الآن متعايشًا كأنه ما زال في منتصفها.

في شوارعها القديمة

نزعةُ روحٍ

سأكتب فيكِ خواطري وإن جفت أقلامي سأكتب بدمي.

سأكتب فيكِ مشاعري وإن امتلأت جميع أوراقي

سأكتب اسمك على جدران منزلي الزائف هذا

سأكتب على جدران مدرستي الحزينة

سأتعلم بها القراءة والكتابة حتى أكتب عنكِ

اسمك صار محفورًا على خشبات مقعدي المتواضع

سأغير الأحرف العربية لأنها عجزت عن التعبير، سأضيف عليها حروفًا جديدة لتتسع لمشاعري الحزينة

سأكتب عنك أشعارًا لا يستطيع قراءتها أحد ، صعبة بأحرف مسمارية سيحتاجون من بعدي لمترجم ليفسر ماكتبت عنكِ

وكيف يفسرون ما أقول وأنا تائه بكِ

وأقول ولا أدري ما أقول، ضاعت مشاعري وأشعاري...

فأين المأوى من دونكِ يا معرتي؟!

حتى أقول

فليتني قلت فيكِ ما أردت أن أقول"

ليلٌ وقمرٌ حزينٌ

كان ليلك ساكنًا هادئًا يحمل بين نجومه أحلامنا المخملية

كان ليلك مرجعًا ومعجمًا لتفسير الحياة

ليلك الساكن كان ذو أحلام جميلة تُبشّر بخير الأيام

كان ليلك سريرًا مريحًا ننام عليه

كنتِ تهزي المهد بنا حتى نغفو كنتِ تغني لنا أغانٍ عذبة تجعلنا نطير على بساط الريح بين طيات الغيوم البيضاء حيث قمرك يخترق ذراتها بنوره.

كان عشاقكِ لقمركِ عشاق يناجوه يساهروه، يسألوه:

عن الماضي،عن الحاضر،عن الغائب.

كان يضيء سماءكِ وأرضكِ

كان الليل بكِ شاعرًا أندلسيًا غزليًا عذريًا لم نعد نراه في سماءنا الجديدة.

فالقمر هُنا حزينٌ يبكي دموعًا علينا يدعونا فلا نلبّي

إنه خجل لا يعرف أحد

ليس له أصدقاء، كما في معرة النعمان

ماذا جرى؟،ماذا حصل؟!،لم يعد يكبر!

إنه بائس يائس

فيا ليت الزمان يعود يومًا فيفرح،

ونفرح وتفرحين يا حبيبة كل السنين

سنعود، إليكِ

سنعود إليكِ سابحين بعرق الجبين

سنعود إليكِ بالدموع والحنين

فأنتِ تستحقين التضحية بالدماء والفداء بالروح و بالأجساد والأولاد

اشتقنا إليكِ وبالاشتياق كفاح

اشتقنا إليكِ

ما دام بالجسد نفسٌ يتنفسُ الصعداء

إليكِ يا معرتي سأكتب في كل الصحف

سأكتب اسمك يا حرة على الجدران على التراب،على الثلوج،على الغيوم والأمطار

سنعود إليكِ نحمل حبًا وشوقًا ونصرًا عارمين

نحمل محفظة شعرية مليئةٌ بالكلام العذب إليكِ فأنتِ حبيبة السماء والنجوم

وأنتِ صديقة الحُب والعشق والهيام

سنعود إليكِ تحت الظلام الليل الشتوي الماطر

سنعود إليكِ تحت نور الصباح المنفلق

حتمًا أننا سنعود

مدينةُ أحلامي

أنتَ

أرى فيك كل أحلامي التي لم أحظى بتحقيقها

وكل أحلامي التي حققتها

أرى فيك حتى تلك الأحلام التي أسعى جاهدة

لألمسها

كيف لشخص أن يكون بتلك الأهمية لأصفه

بأنه مدينة الأحلام

نعم لأنه هو من بنيت عليه أغلب أحلامي عندما وقع ناظري عليه هو من وقف بجانبي عندما طرحت أرضًا بسبب يأسي..

من عدم تحقيقي لأمنية كنت أركض وراءها كطفل رأى امرأة تشبه أمه، أمه الفقيدة، أمه الشهيدة

هو من آنسني عندما بترت أحلامي

وقف بجانبي عندما تشتت عقلي

هو فقط من أشعر وأنا بجواره بأنني لا أريد من هذه الدنيا سوى تحقيقي لحلم واحد بألا أفقده

خليط من رائحة معرة النعمان ورائحة حماة

اجتمعت بك فشدتني نحوك

وجعلتني أناديك بمدينة أحلامي

لست بمدينتي ولكنني أتواجد بك

لن أنجو منك

حاولت مرارًا وتكرارًا ألا أضعف أمامك

ألا أقع في حبك لكنني لن أنجُوَ

نعم... نعم... لن أنجُوَ

لما أراك مستغرباً

لم أنجُ من عينيك، أهن عينان أم قمران؟!

لا بل هُنّ بدران..

عفوًا... عفوًا... هن معرة النعمان

يا لعيناك كم وجدت بهن الأمان

وجدتُ بهن السلام، وجدتُ بهن الهيام

عيناك حربٌ أم هدنةٌ لمدة من الزمان!

عيناك حزني أنا وسلامي واطمئناني وقلقي، ومدينتي، ودنيتي، ونهايتي ومصيري.

ولأختمها لك بأنهن انتصاري

٢٤ ديسمبر ٢٠٢٣

معرتي العزيزة

أرجو أن تكون هذه آخر رسالة اكتبها لكِ إلى حين عودتك

اشتقت إليك كثيراً

أكثر مما كنت أتوقع

ربما لأنني في حالة ركود

حتمًا لا يوجد سواكِ

حاولت بكل ما أوتيت من قوة أن أشغل نفسي عن غيابكِ واحتلالكِ، فخرجت ورأيت الناس، قرأت بعين واحدة، وأنصت إلى الربيع بأذن واحدة، وحاولت أن أكتب لكِ ولكن دون جدوى.

عودي إذن وأحييني،تعالي بسرعة

الغياب جيدٌ ولكن ليس إن تجاوز الحد

تعالي إلي... تعالي،وليتوقف العالم كله من بعدك.

لا تشفى جراحُها

جرحٌ تداويه بيدها... ينزف فتضمه بخيط

ينقطع الخيط فتبكي

يشتد النزيف أكثر...

تسحب الخيط الذي انقطع

تحاول أن تضمده بخيط جديد

ينقطع الخيط الجديد فتعاود البكاء

ليس هناك خيط متين غيره!!

تستنجد وتصرخ أليس عندكم خيط أقطب به جرحي؟!

أنا أنزف،أنا معرة النعمان،أين أنتم؟

ألا تسمعونني؟!

أنا معرة النعمان هنا ساعدوني

ليس هناك من يسمع جميعهم رحلوا عنكِ يا معرتي

القصف في كل مكان صاروخ هُنا وقذيفة هناك الدمار عم البلاد

تركوكِ هُنا ورحلوا عنكِ خوفًا على أنفسهم،على أطفالهم،فهم حق عليهم

سامحيهم، أرجوكِ.

أيقنت حقيقة أنها الآن وحيدة اختارت على أن تبقى لمن هَجر أهلها

نزف جرحها لم تقدر على تضميده حتى توفّت شهيدة.

معرة النعمان دون أهلها بقيت شهيدة

كان الرحيل هو الحل الوحيد أمامي

عقدت الوثاق ورحلت بعيدًا

وجهتي كانت بلاد لا حرب فيها

لا قصف فيها ،لا طيران، لا قذائف،

ولا أصوات مدافع ،الحرب يا سلمى كادت أن تقتل روحي

أصوات القذائف كانت تدق رأسي كأنها مسامير

صوت المروحية هدم أحلامي فوق رأسي

الدمار شوَّه مخيلتي

كل شيء كان حولي بات موحشًا

موحشٌ لدرجة أنني تركت كل شيء حولي ومضيت

الحرب هشمت ما بداخلي من مشاعر جعلتني فارغاً تماما من أي شيء

مخلّفات هذه الحرب جعلت مني شخصًا خائفًا دائمًا... حتى من نفسه

جعلتني أمضي دون وجهة

دون أمان...دون أحلام، دون معرة النعمان

آسف يا معرتي ...تركتكِ رغما عني

ولو أنهم أخرجوني منك ما خرجت

وإنك أحب بقاع الأرض إلي

تركتك رغما عني أردت ألا أخسر نفسي مثلك فمضيت بعيدًا

قسما برب الناس إنكِ معبودتي بعد الله وإن لم تحدثيني

بناكِ أجدادي على العلم والأدب

بنوكِ في مهب الريح ولم تتكلمي

لم تجزعي،لم تتحركي،ولم تنطقي حتى بالكلام

أنتِ الماء في جدولي

وأنتِ الدم في شراييني

في مهب الكلمات أنتِ الجسور التي يعبر منها كُتّابُ العالم وشعراؤه

أنتِ دفئي في الشتاء

أنتِ هوائي في الصيف

أنتِ ربيعي

بدونكِ يا معرتي ولّى ربيعي، وضاع صيفي، وتشتت شتائي بين الوديان

وضاعت قطرات المطر فيه وتبخرت جداوله، وجفت بحاره.

أنتِ الذكرى التي بقيت في حياتي

أنتِ لقمة أجترها عند اشتياقي إليكِ

أنتِ وأنتِ وأنتِ ..

حتى تنتهي الكلمات كلّها في أبعادكِ أنتِ

عندما يهدأ الليل ويبدأ السكون

أراكِ تبكين في زوايا البيت ملء العيون

فتنزل دموعكِ على الأرض شلالاً

حزناً على الأبناء والبنات المشرّدين

تبكين دون مؤنسٍ يطبطب على ظهرك

فأنتِ ذات مهجةٍ سكرى وقلبٍ حنون

تبكين علينا فراقًا

أدعو إليكِ بأنَّ يُفرّج الله عنكِ وأن يُفرّج عن كل محزون

لقد صنعتُ لكِ في غربتي باقات الزهور

وأعددت لكِ هدية عيد الأم بهذا العام

صنعتها من اللؤلؤ والمرجان

جلبتها لي حورية البحر من الأعماق

فصغتها لك عقدًا جميلًا فيه كل أنواع الفنون

لا تبكِ يا معرتي أرجوكِ

فإنا إليكِ بإذن الله عائدون

حرقوا فؤادكِ بالهجر

لكنهم لن يستطيعوا أن يمحو ذاكرتكِ من الوجود

فأنتِ قائمة ما دامت تشرق شمس الصباح

وأنتِ موجودة كجبلٍ راسخٍ

وأنتِ حيّة ما دام على الأرض أرواح

وأنتِ جميلةٌ وإن الله يحب الجمال

وأنتِ قويةٌ كصوتِ البرق في السماء

وأنتِ منيرةٌ كالقمر ليلة البدر

وأنتِ البحار تملأ الأرض مياه وكرمًا وسخاء

ولقد اصطفاكِ الله مدينة عذراء

مَن مثلكِ لا يموت

لأنكِ أنجبتِ شاعرًا وفيلسوفًا فهو فيلسوف الشعراء

إنه النابغة أبي العلاء

معرة النعمان كوكب في السماء

ظلمها المُفسرون العُميان بأنّها مدينة تؤذيهم فوضعوا اسمها في قاموسهم الأسود

لذلك نسوا كل أسمائها العظمى

فأطلقوا عليها هذه الأسماء التي تحمل التفسيرات الشنيعة مع أنها أم للأيتام وتجمع للثوار والأحرار

لقد جمعت أولئك الأبطال الّذين وقفوا بوجه الطاغية السفاح

في معرة النعمان وخلال اثنتي عشرة سنة خسرنا فيها آلاف الشباب الذين تصدوا لعدوان الطاغية وهي مدة قصيرة لكنها كافية لأولئك الأطفال الذين فقدوا أطرافهم فيها، مدة قصيرة لكنها كافية لنعود لمدينة الدفء والحنان

مدة قصيرة كانت كافية للأمهات اللواتي فقدن أزواجهن، وأصبحن ملتويات الأيدي قليلات الحيلة صابرات راضيات بما قدره الله عليهن.

مدة قصيرة لكنها كافية بأن يأتي النصر ويلوح لنا حاملًا معه الأمان والاستقرار حاملًا معه العودة إلى الديار.

شبيهةُ أمي اسمها معرة النعمان

عندما خطوت الخطوة الأولى وقعت فمسكتِ بيدي

خطوت وخطوت أخرى فوقعتُ، جُرِحت ركبتاي فبكيت.

ركضت إليَّ، بكيتِ لبكائي، واعتنيتِ بجرحي حتى زال أثره

نطقتُ كلماتي الأولى هُنا بكيتي فرحًا.

سنة تليها سنة، تمضي الأيام، وأنا أكبر وما زالت تنظر إليّ بخوف كأنني طفلة بعمر الأربع سنوات.

كبُرت طفلتك يا أمي يا معرة النعمان.

أرى خوفها يزداد أكثر لم أكن أعلم لماذا؟

سألتها أمي معرة النعمان أنا كبرت لماذا الخوف هذا كُلّه؟

لم أعُد أجرحُ قدميّ إذا خطوت.

لا تخافي.

أجابتني فقط بقول:

" ليت الشباب لا يعود يومًا، وليتني بقيتُ وبقيتِ أنت أيضًا طفلة.

الحرب تؤلم يا أُمي فها أنا بعُمر الثلاثين لكنني أبدو عجوزًا بعمر الستين

ها أنا الآن شابة بعمر العشرين، وأبدو وكأنني بعمر الأربعين

علمتني أمي معرة النعمان أن الحرب تؤلم.

الاحتلال يؤلم، ألم بعده ألم بعده ألم، فنقع من الأعلى إلى أسفل القاع

تنظرُ إلى نفسكَ لترى أنك مهزوم، هزيل حزين، متألم.

وكل هذا سببه الحرب.

معرة النعمان تبكي

تصرخ هل ستحررونني؟

تصرخ هل نسيتموني؟

أين أنتم؟!

هيّا استردوني.

أنا هنا مرتمية بين أيادي الظُلام أتوسل إليكم ساعدوني

ما زلت حتى الآن حيّة، واحمل بندقية وهم يقاوموني.

هيا يا شبابي ساندوني.

قطّعت مئات الأعداء حتى هابوني

مرة الكثير من الوقت وأنا أقاوم وحدي

ضعفت قوتي ونفذ صبري وقلت ذخيرتي

واختبأت عسى أنكم تؤازرونني

أُصبت وأنا مختبئة وراء عبق الياسمين

بجانب الجامع الكبير

ولكن الأعداء لم يسعفوني... وأنتم لم تأتوا

إلى متى؟! ...إلى متى أنتظر؟!

هيّا شدوا العزيمة ، أُمكم تناديكم...

مصابةٌ موجوعةٌ تبكي

الأعداء احتلوني وأبنائي لا يساعدونني

أنا معرة النعمان أُمكم أناجيكم ...فهيا هبوا إلي وانصرني

ماضيَّ فيكِ معرتي قاتلي

لا أُبالغ أبدًا أنا أعني كلامي بالحرف الواحد

لم أعد دونكِ أنا

الجانب الأيسر من صدري كان بتواجدكِ مليءٌ بالفراشات فقط

فراشات وقليل من النبضات

قلبي كان فراشات أجنحتها زرقاء ورائحتها مثل رائحتكِ معرتي

فرائحتكِ كانت تحتل صدري

شهيق وبالزفير تخرج رائحتكِ من صدري لتحتل كل مكان أتواجد فيه

مسكٌ من الجنة،مسكٌ يمكنك القول بأنه يطيل العمر

يسجم المتحابون،يُصلح الخراب

زفير يخرج من صدري فيصلح الحال

يُزيل التعب، يفرج الهم، يزيح الخلاف ، يجلب الانتصار

هذا الشيء كان عندما كنت بكِ

لكنني عندما غادرتكِ امتلأ صدري بخفافيش سوداء لونها أسود قاتم

كلما تذكرتُكِ معرتي كثرت هذه الخفافيش أكثر فأكثر

أتذكركِ فتتكاثر، تجوع فتبتلع قفصي الصدري

أتذكرك فتتكاثر أكثر، ولكن عندما تجوع تبدأ بتآكل قلبي

لم يتوقف عقلي عن ذكراكِ رُغم أنّه يرى أن هذه الذكريات ستقتلني

يذكرني بكِ فتتكاثر وتأكل قلبي

لم يتوقف... يذكرني بكِ... فتتكاثر حتى ينفجر صدري ... فأصرعُ ميتًا

وحيدة معرتي ويتيمة

مبعثرة دون أهلها

حزينة دون صوتهم

تتألم عند ذكراهم

تبكي عندما تفقدهم

تصرخ عند الحنين

تنوح عند الشوق

ضائعة هي دونهم

مشتتة العقل، مهووسة التفكير

أصبحت مريضة نفسية دون تواجد مصحٍّ

مصحها أهلها..همها هم

معرة النعمان تبكي أهلها تبكي وتردد

وليتها عندما تبكي فراقهم يزول الألم

كانت حاضنتي أنا الآن مهجر

مهجرٌ دون المعرة

معرتي الآن محتلةٌ

أبكي دون جدوى

أبكي دون عودة

أبكي معرتي الآن

الدموع في كُل مكان

كيف أشعر بالأمان... كيف استمر دونك

أنا الآن بلا مأوى... بلا سلام واستقرار

فقدت نفسي دون تواجدكِ معي

فقدت شعوري... فقدت قلبي

كل شيء صار حزينًا

لا يوجد أي كلام يواسي مصابي

انتهى الكلام... وجفت الأقلام

جفت الزهور والأحلام

جفّت الحياة وتوقفت

وتسألني عن حال معرة النعمان فأقول لك:

" كيف يكون حال الأسير؟

أسير الجشع

هي حزينة، متألمة، و مهجرة من الداخل مثلي"

احتلّيتِ ذاكرتي

احتلت عقلي كاحتلال الصهيون لفلسطين

حاولت أن أعطيكِ قسم صغير من مساحة عقلي

لم أقدر ولم ترضِ

معرة النعمان تأخذ مشاعرك وعقلك وأحاسيسك كلّها وتقول لك:

" هل من مزيد.... أريد المزيد"

ماذا تريدين بعد؟!

أريد أن أكون كل شيء

أريد أن أكون محطة تفكير الجميع

أريد أن أكون حاضنة لمشاعرهم، مؤنسة لحزنهم

أريد أن أكون ونيسة ورفيقة وعشيقة... كل هذا؟!

نعم إنما هذا بعض وليس كلّ

إن كان هذا بعض ما تريدينه فما الكل؟!

ماذا أبقيتي؟

إن أحب أحدهم وأراد أن يغازل حبيبته يغازلها فيناديها معرتي

أريد أكون غيمة تمر فوق قلوبكم فتمطر

أريد أن أكون ملجأ لكم، أريد أن أكون مأمن أيضًا

هل ما زلتُ أنانية بنظرك هكذا؟

أنا أنانية بأهلي، بمُحبيّ، بأرضي، بعشاقي...

أنا أنانية لي بمن أحب وبمن يحبني

نعمةُ النسيان

زهرتي أنتِ يا معرة النعمان

زهرتي أنتِ يا شقائق النعمان

تلد الليالي كل يوم أصدقاء لنا

ولكن لم تلد حتى الآن ما يشبه معرة النعمان

وحضن التاريخ مدنًا على مدار الدهور والأزمان

ولكن لم ينجب مثلكِ يا بهية الأماني

صاطعة الجبين، مسودة العينين

فوق عينيكِ سهام نُصبت كالميزان

وفي الوجنتين نورٌ فما ألذ تفاح الوجنتين

وثغرك عسلًا وشهدًا ومرجان

يشمخ رأسكِ في السماء عاليا

فما ألذ شموخكِ يا معرة النعمان

ففيكِ الحُب

وفيكِ نعمة النسيان

أعيادها نحن

ولا عيد فيها دوننا

الشوارع خاوية، والمآذن خرساء

الجدران صمّاء، والغيوم سوداء

نورها أصبح ظلامًا

تحوّل الورد فيها إلى أشواك، الأراجيح توقفت

ضحكات الأطفال اختفت ،حُرِق لباس العيد

لقد دُمرت معرتي يا أبا العلاء

أعيادها الآن عزاء، وعزاءها أهلها

فكيف تكون المقارنة؟!

زمان كانت معرتي سالمة

معرتي كانت حاضنة

عيدها أهلها،يا لبهجة أول يوم عيد فيها! صلاة العيد وأصوات التكبير

ترى الأطفال في كل مكان، تعلو ضحكاتهم عنان السماء

الأراجيح تتطاير تحمل الكبار والصغار

فرحٌ، بهجةٌ، حبٌ، أمانٌ، سلام

تجد هذه التفاصيل جميعها في هذا اليوم في معرة النعمان

فعيد المعرة بأهلها

ها هي المقارنة تسألني عن حال عيدها وهي محتلة؟!

أقول لك بأنها خاوية لا عيد فيها

دائما كنتُ أُحَلي فنجان قهوتي المر من مبسمكِ المُعسل

كان ماؤه من نبعك الحلو المذاق

كان مرار قهوتي شهدًا بالمذاق عند ذكر معرتي

أنتِ قصة الصباح التي أرويها مع شروق الشمس

أنتِ أول ما يتراءى إلى فكري وذاكرتي

أنتِ أحاديث الناس في الشوارع

في الحقول عند السنابل

أنتِ يا معرتي زغاريد النساء بالأفراح

وفرحة أم الشهيد يوم اللقاء

أنتِ السطور التي كُتبت عن عنترة و الأبطال العظماء

فنجان قهوتي يكاد يبرد في يدي

وذكراكِ تجعل منه ساخنًا

ذو رائحة فواحة

فأنتِ مزاجي صباحًا..

وأنتِ مزاجي عند المساء

كيف أصفها لك

كانت طفلة بريئة

شعرها طويل خرنوبيّ اللون

عيناها بنُيّة كالقهوة

قهوة وعيناها؟!

لهذا الحد هي جميلة

نعم وأكثر من ذلك

تمتلك يدين ناعمتين

رائحتها ياسمين

كيف أصفها لك أكثر، حنونة حنونةٌ

رهيفةٌ رقيقةٌ ، رقيقة كورق سجائرك

كيف تصفها في كل هذه الصفات الحسنة ثم تُشبهها بورق سِيجارتي؟!

كنت أُريد أن أصفها لك بأكثر شيء تعلّقت به فمن الصعب جدًا أن تتخلى عنها هي سيجارتك

لا يتخلّى عن المعرة إلّا الوغد

هو فرّط بتلك التي ستضحي من أجله بنفسها كسيجارته تمامًا تلك السيجارة التي تحرق نفسها من أجل إسعاده، ولكنها مع مرور الوقت تؤذيه، أما هذه الفتاة تحرق نفسها من أجل إسعاده دون أن تضرّه لذلك هو وغد

أصف لك معوة النعمان أكثر؟!

هي معرة النعمان

فتاة عيناها كالقهوة

سنعود إليكِ بالربيع من بين شقائق النعمان

سنعود إليكِ يا حبيبتي يا معرة النعمان

سنعود إليكِ مع الطيور المهاجرة في المساء

سنعود إليكِ مع رفوف السنونو بعد الضياء

سنجلس نستريح تحت أشجار الزيتون

سنحتضنك حتى الأجل

سنحضنك بالحب ومن الحب ما قتل

سنرعاكِ كطفل صغير يحتاج إلى أمه ،إلى جدته، إلى عمه

سنرضى منكِ مقابل هذا بالرضا منكِ وبالنظر فمن نال حبك فإنه بالحياة قد ظفر

فأنتِ يا معرتي بعد الله معبودة

يا ذات الوجه البهي الموقر

لكِ دمي

ولكِ دموعي

ولكِ ابتسامتي يا ذات الوجه البهي المُظَفر

أردت فقط رؤيتك

رسمتُ حدودًا ضمن حدودكِ لأحميكِ

رفعتُ سيفي وحدي مقاتلًا أمام ألف سيف كي لا أخسركِ

ركضتُ نحوكِ مجاهدًا حافي القدمين بينما هم راكبون الخيل ظنًا منكِ أنكِ لي

جُرِحتُ أسفل عيني برمح عدوٍ مسموم لكنني لم أتوقف

بقيتُ مستمرًا في معركتي، تغلغل السم في جسدي، حتى وصل عيني الأخرى

وفقدت بصري حينها... فلم أعد أراكِ معرتي.

ظننتِ بأنني توقفت بعد إصابتي؟!

لا لم أتوقف ... جاهدت دون عينيّ

استعنت بأحاسيسي المتعلقة بك..

ركضتُ.. وركضتُ.. وقتلتُ مئات الأعداء الّذين يريدون أن يأخذوا حبيبتي معرتي مني

يا لحزني!

أُصبتُ مرة أخرى... فقدتُ قدمي بقذيفة

أُجاهد وأُحارب بسيف وهم بقذائف

لكنني لم أتوقف.. استمريتُ حتى قطعت يدي اليمنى.. حملت سيفي باليسار فقُطِعت.. سقطت أرضًا متوجعًا مُتألمًا

ناديتكِ يا معرتي أنقذي من ضحّى بنفسه من أجلكِ لم أسمع لك أي صوت

حينها تأكدت بأنك قُتِلتي وقُطعّتي مثلي إلى أشلاء

بعدك مرٌ ... ولقاؤك الآن معجزة

قلبي عالقٌ هناك..

في تلك اللحظة... لحظة رحيلنا منك

ليته كابوس وليس حقيقة

أصحو وأحتضنكِ خوفًا

تخبريني بأنه ليس كابوسًا

أُخبركِ بما رأيت

تهدئي من روعي

تطمئنني بأن بقائك سرمدي

يا لحزني الآن! أريدُ رؤيتك معرتي ولو في منامي

روحي معذبة تُريدُ لقياكِ

الشوق مرٌ يا سكرة أيامي

كاد الشوق أن يحرُق قلبي

أتيتي في منامي مرةً ،وأخبرتِني بأني عائدٌ إليكِ

ولم تعطني موعدًا

ما زلت حتى الآن أنتظر قدومكِ مرة أخرى

انتظر رغم أنني أكره الانتظار

قلبي عالقٌ بانتظارك

يحاوطني حبك

أراكِ واضحةً أمامي كوضوح القمر المبدر كل ليلة

حفظت عدد رموش عينيك وعدد دقات قلبك

حفظ صور تسريحة شعرك وكلماتك وقلّدت لهجتك

جعلت من بحة صوتك أغنية استمع إليها عندما أهرب من ضجيج العالم

تحاصريني من كل الجهات

جعلتك وجهتي و معركتي يا معرتي

ناديتك بكل قوتي أن تعودي

عودي ونامي بين ثنايا قلبي

عودي وليُحتل العالم أجمع من بعدك

عودي إليَّ... عودي لنا

عودي لهم

أريدك حقيقة لا حلم

لا وهم ، لا أمنية

مادُمت خارج مدينتك فأنت عاجز

نعم عاجزٌ عن الفرح

ليس بالمعنى الحرفي

يمكنك الفرح لبضع دقائق أو ربما لبضع ساعات

تخطر على بالك ذكرى قبل أن تهجر سببها شبيه لسبب فرحتك فتحزن ،عاجز عن تحقيق أحلامك

في هذه البلاد الأحلام لا تتحقق إلا بعد أن تفقد القسم الأكبر من عزيمتك

تتحقق أحلامك من هنا وتنهمر أنت بالبكاء في ذات الوقت

حُققتَ أحلامكَ، فلم البكاء إذن!

ماذا تريد أكثر؟!

ما فائدة تحقيق أحلامي عندما لا أتواجد في بيتي، بين عائلتي

عندما لا أجد من كان يتمنى أن تحقق هذه الأحلام بجواره.

فما فائدة تحيقق الأحلام وأنا خارج معرة النعمان يا صديقي

خارج بيتي

بعيد عن عائلتي

أو يمكنك القول بأنني فاقد لعائلتي

أنا عاجز... دون مدينتي

دون أهلي

دون أرضي

أُريد فقط ان أخبركِ بأنني بجانبكِ

أنا هنا معرتي... مُتمسّك بكِ

انا بجانبكِ إلى أن يفنى عمري

سأحمل حزنكِ وألملم شتاتكِ

سأُمسك بيدكِ...سنذهب إلى أي مكان

مكان لا يتواجد فيه حربٌ ولا سلاح

اطمئني... سأُداوي جراحكِ بيدي...سنذهب بعيدًا عن هنا

سيكون مكانًا خالٍ من القصف

خالٍ من الدماء

خالٍ من الجراح

ستعودين جميلة لاخدوش بوجنتيكِ

ولا سواد تحت عينيكِ

سنودّع الحرب سويًا

سنودّع الألم معرتي

أنا هنا... أنا هنا بجانبك معرتي فاطمئني

صوتك يلاحقني

معرة النعمان أرجوكِ كفي عن تعذيبي

أنا أُجبرت على مغادرتك ولم يكن خياري

كفى أن تظهرين لي في منامي

تبكي وتصرخي لأنني قد تركتك وحيدة..

علقتكِ بي ثم رميتك، أقسم أنني لم أفعل..

مازلتِ هنا عالقةً في الجهة اليسرى، في صدري تستقرين

أنا العاشق المجبور...العاشق المعذب

أنا ذاك المريض الذي وصف علاجه، وعلاجه فقط هو معرة النعمان.

ولكن، للأسف لا يمكنني العودة إليكِ

سأبقى مريضًا وأموت هنا بعيدًا عنكِ

حلّفتك بالله أن تزورينني في المنام مرات أخرى

ولكن، لا تبكي... لا تشتكي مني

بكاؤك يزيد مرضي...يزيد عذابي

ابتسمي معرة النعمان لعلّ بابتسامتك النصر ،فأعود إليكِ منتصرًا مرتين

نصر عودتي إليكِ ونصر عودتكِ حرّةً أبيةً طاهرة من رجسهم.

حبي الأول

كنت أنظر إليك وكأنني لا أملك من هذه الدنيا سواك وملكي أنت

زنزانتي أنت وأنا السجين

سجين بعينيك

سجين خديك

سجين موقعي هناك في تلك الحفرة التي تظهر عند ابتسامتك على خدك الأيسر تحديدًا

سجين في نبرة صوتك

كلماتك، همساتك، ضحكاتك

أرجوك لا تحرريني

أريد أن أبقى سجين

أهذا سجن أم جنة؟!

زنزانة معرة النعمان جنة

ارتكبوا ذنبا وادخلوها

إن كان للمدن عروس فأنتِ العروس

وإن كانت التيجان للرؤوس فأنتِ التيجان وأنتِ الرؤوس

لقد رويتِ كل عطشان حتى امتلأت فيكِ الكؤوس

أنتِ ثلج الأرض... أنتِ بياضها

وأنتِ ريشة في رأس طاووس

معرتي أم المدن... أم الفقير... وأم الغني

وأم كل ذي عقل وناموس

من اشتمَّ هواءكِ صار مولهًا بالعشق والحب ليصبح كالعاشق المهووس

وفي وجهكِ نورًا يضحكُ كل ذي وجه عبوس

يحميكِ من الويلات ربي الملك القدوس

يا نجمةً تضيء وجه الأرض كالفانوس

إلى اللقاء معرتي يا نسياني وذاكرتي

ففراقكِ عني أصعب كابوس

ذكرى

كانت أسواقها تصحو باكرًا مع الفجر

لتستقبل ما أنتج الراعي والمزارع من ألبان وأجبان وحليب يشفي المرضى ويزيل السقم

كانت معرتي توزع خيرات أرضها على كل من حولها

كنت أرى المزارع قديمًا وقد أسرج دابته محملًا عليها من الفاكهة والخضار ذات الألوان البهية

لقد كانت ألوان خضارها تضاهي جمالًا ألوان قوس قزح

كان كل نوع من خضارها يحمل رائحة صنفه الحقيقي

كانت خضارها تشرب من مائها العذب الزلال

فأنا وخضارها ودوابها نشرب من نبع واحد، لقد كانت أرواحنا معلقة ببعضها كجسد واحد

لقد اشتقت إلى خضارك و طعامك يا معرتي

يا سليلة النسب يا كريمة الأخلاق

فما بال الحسود قد أوقد فيكِ نار الكراهية

ف الحسود ينال الجزاء كما قال الجاحظ:

" لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله"

ذكرى

ماذا أحدثكم عن أزقتها القديمة التي رصعت بحجارة مصقولة بأيادٍ ماهرة

كنت أسيرُ عليها وكأنني أمشي في قصر النبي سليمان

في أزقتها أبواب البيوت قريبًة من بعضها البعض

اشتمُّ ما طبخ الجوار وما تحدث به الجوار

وكأنهم أسرة واحدة تعيش مع بعضها البعض

كان الجار يشعر بآلام التي يشعر بها جاره

كان الجار يسكب من طعامه لجاره

يعوُده إذا مرض... ويفرح إذا فرح... ويحزن لحزنه ويتألم لألمه

كنّا كأسرة واحدة في معرتي

فيا اليالي الخوالي عودي كي ألقى ما فقدته في غربتي

معرتي أنتِ الجذور وأنتِ كل محبتي

ذكرى

ذكرى دين محمدِ فيها لهُ ريح كريح العنبر المزخم

فيها الجامع الكبير يحكي عن تاريخ الإسلام بالأُمم

فيها مساجد قديمةٌ بُنيت ورعاها رجال دين

ليس بعلمهم من يقارن بهم، ولا مثلهم بالعظمِ

مساجدها كلّها قبب تدل على حضارتها

وإن دخلتها وكنت كافرًا ستصبح بها أول من أسلم

كانت معرتي تصلي بأهلها

كما صفحات الكتاب وإن خُطت بالقلم

تناقلت أفواج من البشر مرورًا بها

من تاريخ سيدنا آدم

فيا تاريخ العالم اكتب عن ماضيها السعيد واكتب عن حاضرها الحزين المؤلم

معرتي عودي فالمساجد تبكي ألمًا

فما بال الحبيب لا يتكلم

ذكرى

ماذا أحدثكم عن آثارها... من قال أن المعرة ليس لها تاريخ صدق

فإن المعرة قد خلقت قبل أن يُكتب التاريخ

إن متحفها يدل على حضارة مضت وعن فكر من نفذ هذه الحضارة

إن حجارة متحفها كنوز دفنية فكل حجر فيها تحكي قصة عالم قد سلف

إن الفسيفساء التي زينت جدرانه ذات زهاء وبهاء كأنها تنطق بروح صانعها ، لقد تجلّى فيها سبحانه فوهبها الجمال الذي لا يليق إلا بها.

إنها الحضارة والماضي والحاضر فمن أراد أن يحفظ التاريخ فليقرأ تاريخ متحف معرة النعمان.

عندما تنظر إلى باب متحفها كأنك أمام أحد أبواب الجنة

إن المسامير التي دقت بأخشابه كأنها شامات تزين وجوه العذارى

مهما وصفت ومهما كتبت فلن أعطِ هذا الأثر حقه بالتعبير والتوضيح

فيا ليتكم تروه وتحكموا

عيناك أنت فقط

أراها فتعيدني من الغربة لوسط معرة النعمان

عيناك ملجأي

وأماني

وبيتي

ومرّ أيامي

وسكرها

عيناك معرتي

ليته صدح صوتك

كنت سأُقبل إليك حاملاً عطارد في يد وبالأخرى حاملا الأرض

ليتك ناديتني فأنظر لك وعيناي تحمل لمعة ضوء جرم سماوي

سأنصت لك، وأجري خلف صوتك حتى أصل

أحضنك وهنا ينتهي القلق

أُعانقك وهُنا أغفل عن الكون

يضج عالم الوجود وعالم السماء

أنت فقط نادني

ستراني هنا بجانبك

سأسمعك وسأكون لك

ستكون أنت المعرة وأنا المشتاق المغترب عنها

صوتك سيعيدني من جنوب الأرض متجهًا شمالًا إليك

صوتك شبيه لصوت أنين معرتي، أمي، أبي، إخوتي

ولصوت المطر أيضًا

ما أنهك الروح أمام الحب

تعال إليَّ واجلس هنا بجوار قلبي

أنت فقط استرح، وأنا من سأحمل عنك كل أعباء هذه الدنيا

سأحمل عنك التعب والهم

فهل بإمكانك أن تحمل تعبي؟!

أنا من هجرت من معرتي

أنا من تركت حبيبتي

أنا من استودعت بيتي

سأختصر لك بأنني يمكنني أن أكون معرتك

يمكنني أن أبشرك بالعودة إليّ

في حزنك وتعبك وفرحك

أنت فقط

تعال إليَّ

أنا معرتك هنا

ما أشدّ خضوع قلبي أمامك

عيناك تضعفهُ

صوتك يهزمه

ضحكتك تربكه

لا أجد شعور يشبه ما أشعر به وأنا بجانبك

سوى تواجدي في معرة النعمان

ثائر حتى الشهادة

في ذلك اليوم المشؤوم يوم قضى ذلك القاضي الظالم الجاحد بترحيل أبنائكِ عنكِ، وتشريدهم في كافة بقاع الأرض، للانتقام من شموخكِ وعزتكِ وكبريائكِ، وعزة أبنائكِ الشرفاء الذين لا يقبلون الضيم.

وقد حكم بقتلهم كما وعد بلفور في فلسطين

ولكن أحد أبنائك من تربّى في حضنك الحنون أبى الذل والهوان والخسارة والاستسلام

وقال أنا سأنتقم لكِ معرتي يا رمز الشموخ ،لن أسمح لهؤلاء المجرمين بالدخول إليكِ إلّا على جثتي.

كان قوله صادقًا ومترجمًا إلى حقيقة

لم يكتب التاريخ مثلها

لم نقرأ أو نسمع عن شخص واحد قابل جيشاً جراراً مجرماً حقوداً لوحده

كانت قصته قطعة من الخيال

كانت قصة رجولة سطها التاريخ لأول مرة ابن معرة النعمان أحمد الحصري البار يدافع عنها وحدة بجسدٍ طاهر.

لقد قابل آلتهم الحربية وحدة بآلة ضعيفةٍ مهشمةٍ

لقد أرعب قلوبهم وشتت عقولهم ومزق مخططاتهم لبضع ساعات جعلتهم يتخبطون وعلمتهم بأن المعرة أنجبت أبطالًا تعشق الموت من أجل الدفاع عنها.

كان قراره صعبًا جدًا

لقد تخلى عن عياله وبنيه في سبيل الدفاع عنك يا معرتي.

هذا الوفاء الفريد من نوعه لم تعرفه أم من قبل من ابنائها

ما هذه الثقة بنفسك يا شيخي الجليل الموقر!

لم يسبقك أحد إلى هنا ولا سطر التاريخ هذا

إنك والله قاتلت بقوة الله وحدك... لقد كنت رجلًا ليس بألف رجل بل رجلًا بأمة كاملة

ما هذا الإيمان؟!

لقد نلت الشهادة بكل جدارةٍ وفخر وعزة

لقد أصبحت مشعلًا للأجيال ومضرب مثل يتداوله أبناء جلدتك

نعم سيولد من جسدك أيها الشهيد أزهار الريحان والعنبر والياسمين

سيبقى مكان استشهادك مرجعًا لكل غيور على أرضه

سيصبح مقامًا يرده آلاف المشتاقين إلى رائحة المسك التي تفوح من الأرض التي سقيتها بدمائك

لقد حطّمت الرقم القياسي بالشهادة

لقد صنعت نوعًا جديدًا للشهادة

وابتكرت قانونًا يسير عليه كل ثوار الأرض

لقد أعطيت فوفيت

وسقيت بدمائك فأرويت

هنيئًا هنيئًا تلك الشهادة عليك

خُربت بسبب الحرب

إنَّ كُل ما في هذه الأرض من دمار سببه الحرب

دمار القلوب

دمار البيوت

دمار الأنفس

فقدانك لأقرب الناس لقلبك بسبب قذيفة مرمية على المدن لا على التعيين يُدمّر قلبك وربما هذا الدمار أبدي.

دمار البيوت، وإبادة الأرض في اعتقاد الجميع أننا يمكننا بناءها وإعادتها من جديد، إلّا أن الذكريات بها لا تعود أبدًا...

ونأتي لأهم نقطة وهي دمار الأنفس،محطم النفس

لا أعلم كيف يمكنني شرحها لكم، لكنَّ حتمًا ابناء هذه الحرب قد شعروا لمجرد كلامي هذا ما أعني بهذه الجملة تحديدًا

فقداني لمعرة النعمان جعل قلبي جريحًا بجرح دائم

دمار بيوتها وأرضها قد مزّق جسدي

دُمرت مشاعري

أراها تناجيني أن أرحمها

والرحمة بمنظورها هو النسيان

وهل للنسيان سبيل في ظل احتلال معرة النعمان

فكيف أرحمها؟!

متى نلتقي ياحبيبة السنين

معرتي

أريدكِ أن تخبريني متى سنلتقي

فكما لا تعلمين ولأننا لم نلتقِ منذ سنوات

أصبحت أُعاني من السمنة المفرطة في الكآبة

أريد أن أبكي بين ساعديكِ كي أتنفس أكثر

فالغصة تملأ قلبي دون تواجدكِ هنا

تصيبني غصة عندما أتذكركِ

ماذا سأخبر يناير هذا العام؟!

ماذا أقول لليلة الأولى إن سَألتني عنكِ؟!

وأين يمكنني الاختباء من المساء

الأشياء البسيطة دونكِ معرتي باتت أصعب

أتشاقُكِ جدًا

عظيم عصره

شاعر الفلاسفة العظام

وفيلسوف الشعراء الكرام

أبا العلاء ابن معرة النعمان

شاعرٌ وفيلسوفٌ أثبت بفلسفته نظرياتٍ كثيرة درست في أفخم وأكبر جامعات العالم.

وتُرجمت إلى لغات كثيرة

كانت دراساته ومقالاته وأشعاره تسبق عصره

لقد تحدث قبل حدوث الحدث

وتكلم قبل حدوث الكلام

وأبصر الدنيا قبل المُبصرين

ذكر معنى الحياة ولم يراها

تكلم عن كل القضايا

إنه موسوعة عصره وكل العصور القادمة

هي أُمي

معرتي

كم من الشعراء والأبطال حملت قبلي

وهي الآن وأنا متواجد وعلى ناظر عيني أراها تُخلّفُ رجالًا عاهدوا الله ما كذبوا

ثوارٌ كل أمانيهم نيلهم الشهادة في سبيل الله

أم أبي العلاء

فأنا منها ولها

عشتُ من أجلها لا من أجلي

جسدي جسرٌ تعبر منه هي

لستُ بالوجود دونها

ارفعي رأسك عاليًا،

ينظرون إليكِ ويقولون:

" ها هي أم الشهداء، أم العلماء، أم الفقراء، ها هي أم اليتاما ترفع رأسها وكأنّ لا حُزن مرَّ عليها"

دعيني أخبركِ أنكِ باقية

حطامٌ أم دمارٌ... أثركِ محفورٌ هنا لا يزول

أنتِ لنا حرة باقية

باقية لنا

أنا ذلك الضرير

أنا ذاك الّذي فقد بصره في عزَّ صغره

أصبحتُ أرى كل الأشياء سوداوية

كُلّ ما حولي عبارة عن ظلام

ظلام بالتحديد

حيت لايوجد حتّى شقٌ للنور

البيت والمدينة المُقيم بها وأوجه من أُحب وأوجه الغرباء حتى وجه شخصي المفضل لم أعد أراه

أنا ضرير معرة النعمان

أنا من فقدت معرة النعمان

أعيدوها لي لأستعيد رؤيتي

لأستعيد بصري

أعيدوها لي

أعيدوا لي معرتي

بعد أن ودعتها بابتسامة مجحفة

لم أرحل عنها!

بقيت عالقًا في ذلك الطريق الذي سلكته للخروج منها قرابة خمس أعوام

انتظر هذه المزحة أن تنتهي

لكن رمحُ الحقيقة أُطلق فأصاب حنجرتي

فنزفت بداخلي كل الكلمات

حتى امتلأ المكان بضجيج الفراق

أقفُ صامتاً أمام الحقيقة

حقيقة فقدان معرة النعمان

حتى يهدأ عقلي ويتسنّى لي النوم

ذلك ما يجعلني أصحو متعبًا

وكأنني خارج من أرض معركة

pm ١١:١١

مشتاقٌ إليك

وفي هذه الدقيقة تحديداً

ليتني ألقاك فألقى معرة النعمان

29 ديسمبر

عزيزتي معرتي الغائبة

أنا المنسيّ هُنا

أريد البقاء بالقرب منكِ، هل تعلمي؟

لو أننا لم نفترق حين هشموكِ وهجّروني

لكنتُ أخبرتكِ بأنّكِ أول وآخر حُب

وأول حضن وأول شوق

مسجونةٌ الآن خلف سياج الحزن

وأنا هنا معذب البعد

إن الشوق يكبر بداخلي حتى كاد أن يُفجّر جسدي...آمل لقياكِ

لا تشيخي أرجوكِ

لا تنحني ... لا تؤذيني

أنتِ قوية لا يُسقطكِ المشيب

كل شيء بات باهتًا معرتي

كل المواعيد صارت هزيلة

لفرط ما أجحف المتواعدان بها

كُلّ يوم أفتقدكِ

أفتقدكِ اليوم أكثر من الأمس

وفي الغد أكثر من اليوم

أدعو الله أن يجمعني بكِ

ربما تفتكر أن بمرور الوقت يصبح الأمر عاديًا وتنسى معرة النعمان لتأتي الحياة وتغرُس أنيابها في منتصف فؤادك هنا تقع أرضاً.

صوت أنينك يمتد لآخر بقعة في هذا الكون..

صوت شهيق روحك يدمع حتى عيون العابرون الغرباء

تحاول قدماك أن تتماسك لتنهض لكن للأسف تسقط مرة أخرى بوجع مضاعف

تزحف تريد الذهاب لمعرة النعمان ليتوقّف ألمك

لكنّها تُقتل أمام عينيك

فيشتدُّ صُراخك

تصرخ معرة النعمان لا تأتي أنا مُحتلة

إذهب بعيداً ... داوي جراحك

هي لا تعلم أنَّ جرحي أبديٌ لكونها محتلة

رُبما تهلكنا ذكرى اصطدمنا بها ذات يوم

ذكرى مُتقصّدة تآكُل قلبك كُلّما مرّت

ذكرى من الممكن جداً أن يُباد داخلك بسببها

أن يُخدش وسطك، ذكرى تجعلك تُهرول لتختفي عن الوجوه

لتبكي دون أن يراك أحد

كي لا تُشعرهم بأنّك ضعيف رديء

ذكرى جعلت داخلك هش لا يلقى خُدش دبوس

أكتب لك لأنني مُصاب بذكرى مدينة غيابها اغتال جوفي

ذكرى معرة النعمان تؤلم مشاعري

هل أنتِ بخير فعلًا

لم أطلق عليه غيابًا بعد

لم أحرق ذكرياتكِ

معرتي

قد نلتقي... قد أعانق ملامحك يومًا

قد نتجاوز الفراق ونعود أعانق رائحتكِ

قد نتجاوز هذا الاحتلال ونلتقي من جديد

بمكانٍ آخر..

وزمنٍ آخر..

وظروف أخرى..

لم أُحررك بعد من ألم الاحتلال

ما زلت أحمل أمنياتي.. أحمل صلواتي

مازلت انتظر اللقاء بعد طول الغياب

كيف لي أن أطوي المكان والزمان لأصل إليكِ

إنّ هذا البُعد يُسبب لي فجوة عظيمة

وفراغ كبير في أيامي

معرتي ... كيف ألقاكِ

وهل لأسفاري بالصدفة أن تجمعني بكِ

يا له من شيء مؤسف

تراني أبكي دون توقف

تسألني دوما لماذا كُلّ هذا البكاء على شيء يستحق وآخر لا؟

لم نعلم يومًا أنني أبكي بحرقة قلب

أبكي على الناس

أحزن على نفسي

أشكو من واقعي

أبكي نيابة عن العالم أجمع

أنا هُنا لكنّ هذا المكان ليس لأتواجد به

أنا هنا لكن روحي هناك مُستلقية على جانب شارع الكورنيش بمعرة النعمان

أبكي كل شيء لأن داخلي بات مُثقب

أُرقّع قلبي كُلّ دقيقة بألف رقعة

كبدي يُقطّع دون معرة النعمان

روحي المُرتمية في شوارعها تُنازع

أبكي وأبكي وكلّ البكاء سببه بعد المعرة

لا تسألني لماذا أبكي بعد الآن

أنا أبكي معرة النعمان

مرت سنوات ولم يتغير ألمُ فراقكِ عن أول لحظة

ذكراكِ يحاصرني من كلّ الجهات

معرتي ، بارتي

قد أكون بعيدًا عنكِ، لا أراكِ متى ما أردت

لا ألمسك، ولا أستطيع معانقتكِ

لم أكن بجواركِ كي أحميكِ

لكنكِ ما زلتِ عالقة هُنا، في قاع قلبي

أشعر بكِ حتى وإن كانت تفصلنا الكثير من المسافات

أعرف ما يحزنك ، ما يسعدك

أعرفك مثلما أعرف نفسي

مابيننا لا يُنسى

وهذا ما يجعلني مُطمئن رغم كل هذا البُعد

شعورٌ ينتابنا لانعود بعد نحنُ

ما هذا الشعور؟

إنه شعورنا بعدم الانتماء لأحد

عدم الانتماء لمدينة

عدم الانتماء لشخص

عدم الانتماء لنفسك حتى

عدم الانتماء لنفسي، كيف هذا؟!

إنّ عدم الانتماء لمدينتك ذاته هو عدم الانتماء لنفسك

فأنت فقدت مدينتك إذن أنت فقدت انتماءك لنفسك للأسف

ها أنا فقدت معرة النعمان

وشعرت بعدها أنني يتيم لا أنتمي لأحد ولا حتى لذاتي

أنا هنا شخص آخر

شخصا فاقد لنفسه

ليتني فقدت الذاكرة قبل أن أفقدها فأفقدُ بعدها نفسي

قدري يؤلمني

رضيتُ بما قسمه الله لي

ورضيتُ بقضائه وقدره

لكنني متألم، قدري أن أعيش خارج المعرة يمزقني

أنا المُتألّم دون معرة النعمان

أحاول أن أقنع نفسي بأن لي عودة

لكن للأسف...

ربما أُدفن هُنا قبل العودة

لا أحد منا يعرف قدره

القدر موجعٌ

يؤلم صاحبه

أنا الجريح الذي لا تشفى جراحه

أنا المتألم

أرجوكم أعيدوا لي طفولتي

أعيدوا لي معرتي

أعيدوا لي براءتي

أعيدوني للوجود

ظلم المسافات

معرتي أيتها القريبة البعيدة

كيف لهذا الليل أن يمر دون لقائنا؟!

كيف لعيني أن تغفو على غير ملامحكِ؟!

كيف للصوت الذي أحبه ألا يكون ختام يومي؟!

أحبك وأعلم، أنكِ تُعانين ما أعاني من تباعد الخطى

ألم الاحتلال

ومن ظلم المسافات

أجدك في كل شيء

في صوري

في مرآتي

في غرفتي

في قلبي

جُمعت كل الأشياء التي أحبها فيكِ

لم أحبك لأنكِ تصنعي فيّ شيء أجهله

أنتِ فقط أعدتِ كل ما سرقته الأيام مني

فقط لذلك

فمتى نلتقي

وتُنسى قيود الاحتلال والمسافات

عمري بالعشرينيات وأنا أرى نفسي عجوزًا لا أحمل على شيء

استثقلُ حتى حمل تمرة

إنّ تهجيري من معرة النعمان ألغى فترة شبابي

جعلني عجوزًا يائسًا

عجوزًا لا يقوى حتى على أفكاره

أنا البعيد..

أنا المُهجر..

أنا المُتوجع

سار نهر دجلة والفرات

حبرًا قاتمًا من حبري كتابها والشعراء

فوالله لو اجتمعوا جميعهم ما استطاعوا كتابة مقدمةٍ عن معرة النعمان

سأكتب فيك طويلاً

و سأصف بكِ طويلاً

فأنتِ تستحقين أفضل و أشهى الكلام

فأنتِ للماضي مشعلٌ

وللمستقبل عنوان

يا حبيبة المدن كلها

يا حبيبتي يا معرة النعمان

كانت معرة النعمان لوز وكُنا نحنُ سُكر

كُنا كُلنا سكرًا ووحدها معرة لوز

عندما نتعب تواسينا لوز ببضع كلمات ننسى بها التعب كُلّه

نبكي فتبكي معنا، بمفهومها أنها لا يجب أن تمنعنا من البكاء

يجب أن نبكي ونخرج كل ما في داخلنا من حزن و وجع

بهذه الدموع نبكي سويًا

كانت تخوضُ حُروب عُقدنا النفسية معنا فتخرجُ من هذه المعارك مُلوّحة لنا بنصرها، تحملُ ورقة بخطِ طبيبٍ نفسي يؤكد لها شفاءنا

كانت معرة ذلك الكتف الّذي نتكئ عليه إن مالت بنا هذه الدُنيا

كانت ملجأنا عند المنفى، سماء بقدر السماء تحتوينا

تلملم جراحنا و تنسجها على هيئة راحة

كل نسجة تحوّطها بدعاء خصصته لنا

كانت معرة النعمان تُلاحقنا بالدعاء من مكان إلى آخر دون ملل

كانت معرة النعمان وحدها لوز، لوز الّذي حمل هم سُكر

كان سُكر جميعنا نحنُ

حمل لوز هموم سُكر كُلها

أُريد أن أُخبرك معرة

أن كل ما في هذه الدُنيا من تعازي لا تُعزي قلبي على فراقك

حزن كوكب الأرض أجمع فوق قلبي

تكاد الغصة أن تبتلع الحنجرة

أنا لستُ هُنا دونك

فُقدكِ أصاب قلبي بنوبات خوف من الفقد مرة أخرى

أُصبتُ بنوبات هرع

أُصبتُ بهوس الليل

أُصبتُ بوجعٍ في أسفل قاع قلبي هز كياني كُلّه

عيناي جريحتان

اختصاراً لك

أُريدكِ

أنا لستُ بخير..

أُريدُ السلام الداخلي

أنا المُرتمي في تلك الزاوية المُهملة

مُهملة حيثُ لا تُقابل بمشاعرٍ ولا بعواطف

أنا الجريح المُرتمي دون شعورهم بشفقةٍ تجاهي

أنا المُهجر المنسي بُبعدك معرة النعمان

أنا المقتول المنسي من أبعدني عنكِ هو القاتل

أنا الجائع والّذي سبّبه لي أراه يأكل فوق جوعي

معرة النعمان اروِ عطشي

كاد العطش أن يلتهم شفتاي دون شفقة

مُدّي يديكِ أُريد الدفء

أنا هُنا أشعر ببردٍ مُستمر.. ومعرة النعمان وحدها الدفء

أعيدوا لي السلام الداخلي، أنا الجائع هُنا في خيمة

جريح القلب، لا ماء لدي..

أنا المُرتمي المنسي..

أنا المقتول هنا في هذه البقعة

أَخطُّ لكِ من زهور الياسمين عباءةً

وجئت بها إليك حاملًا بين يدي

سيفي وأكفاني، فبالدم تعودي إلينا

أفيقي من ثباتكِ معرتي

فقد عاد الشتاء

وعادت قصص الزمان

أفيقي وكلميني كلام الوداع..

وإن شئتِ كلامًا أولاً ليس له ثاني

لن تطيري من بين يدي

كعصفورة تجري خلف الجنان

فأنا نبعُ الماء أروي ظمأكِ

سنبقى هكذا أهلاً وخلان

فلا مفر لنا أنا وأنتِ

مما قضى به الرحمن

فنجان قهوةٍ وريحٍ وبرد ذكرى وعنوان

تاريخ مسك تاريخ معرة النعمان

من أعماق البرق جاءت

عبر الرياح العابرة سهول لبلاد

كانت ورقة مجففة تحملها الرياح

ورمت بها في أجمل الأماكن

عيد ميلادها يوم ولد الهوى

فما أجمل من الريحان

بلادي بلاد الشمس والقمر

بلادي هي أجمل البلدان

وهامت في بلاد الحب

فلا يوزن حبها بميزان

تذكارًا نفتخر به نضعه بين هذه الصفحات

يمكننا ذكر الدكتور الفاضل محمد رضا الحيدر

والحكيم أحمد راتب الحراكي

طبيبان مختصان متمكنان من مهنتهما

إلا أن حياتهما لم تتوقف على الطب فقط

كانا رجلين طبيبين يحملان قلبًا رقيقاً

كلامهما يطيب الخاطر ويجبر المصاب ويشفي العليل

الأول رسام يده تخط على لوحاته أرق الرسومات والشعارات، صمم لمعرته رسمًا تذكاريًا وضع في مدخل معرة النعمان الشمالي، حيث جمع في هذه الشعارات مقطعًا للمتحف ومأذنة الجامع الكبير، وصفحاتٍ لأبي العلاء فيها بعضٌ من أبياته الشعرية.

وأما عن الثاني..

فكلامه يشفي قبل وصفته العلاجية

كان شاعرًا متكلمًا فصيحًا

حضر قبل وفاته العديد من الألفيات التي أقيمت في المركز الثقافي ضمن المعرة

حيث أنه ألقى قصائده ضمن هذه الألفيات التي تقام في ذكرى وفاة أبي العلاء، مادحًا أياه فيها

ذكراهُ مرَّ حباً على كل من عرفه، كان ذكراه شفاء

ذكراهما شفاء.

أريدُ أن أفتقد الذاكرة

أن أعيش دون ذكريات تؤلم قلبي

أُريدُ أن أشعر بالحياة لا بذكريات فيها

أُريد أن أعيش دون وطن

دون معرة النعمان

أُريد حياة عارية من أي ذكرى

دون معرة النعمان، أليست هي المدينة التي وصفتها لي بأنها أمانك واستقرارك!؟

أماني واستقراري قد أُحتل

مدينةُ النُعمان مُحتلّة

تعبتُ من ذكرياتي فيها تعبتُ من كونها مُحتلّة مُتألمة

أُريدُ أن أستريح، أنا مُتعب من أكثر شيء أحببته

مُتعبٌ كون معرة النعمان مُحتلّة

أريد فقط أن أخبرك

بأن الحنين هدم قلبي

والشوق إليك بات لا يحتمل

أنا

الضعيف

هنا

دونك

رحلت دون أن أودعها الوداع الأخير

رحلت ولم أستطع إخبارها بأنني أحبها جدا

أشعر بأن قلبي يؤلمني جداً

زغردت أمُّ الشّهيد وعلا صوتها

اجتمعت ملوك الجن والإنس

وطارت طيور المعرة في السماءْ وغردت

فديناكَ ياشهيدُ بالنفسِ ..

وهبت رياح الجنة في المعرة تحملُ

روح الشهيد إلى سماء مافوق السادسِ

وريح المسك غطى أرضها عطراً

حتى تشابه يومها بالأمس

أحمدُ على اسم الرسول محمدٍ

مكتوب عليه ممنوع اللمس

حُصَرِيٌّ من أجداده نورُ المعرة المقتبس

بطلٌ جديدٌ ليس له مثيل في بني عبس

يا قبائل العرب هبي واصرخي

فمنكِ شهيدٌ بطلٌ شجاع

ومن علم يعلم ومن لم يعلم قال كفًا من العدسِ

لقد ولدت ثورتنا أبطالا عظامًا هم أعظم من أبطال عين جالوت

وَلَدَتْ بُلبُلا صداحًا ومغردًا اسمه عبد الباسط الساروت

كان للثورة حماسًا مولهمًا أبطالها بطلب النصر أو الموت

فحماسه وصوته المدوى بالفضا دفع الرجال لكسر شوكة الجبروت

وجعل منهم صناديد تقاتل وتهز بهم بيوتهم وكأنها بيت العنكبوت

نبرة صوته ملأت بلادي نخوة نقاتل بها جنود كل جبار وطاغوت

وفي ملامح وجهه براءة طفلٍ يسعى للحياة ويعلم إنه سيموت

في عينيه هالات الحيارى السمر فتشعر بأنك تستمد منه الماء والقوت

ودعاؤه كان مجابا بليغًا كدعاء سيدنا يونس في بطن الحوت

لقد طعن قلوب الغاضبين بشعره وأرسلها إليهم ميتة ضمن تابوت

فقصائده كانت من وحي غضبٍ هي من القلب وليست سلعة بحانوت

في كلماتها طعم فريد للذائقين لذيذ كطعم السكر في شجر التوت

كلماته درر لماعة للناظرين وللسامعين كأنها دعاء القنوت

وفي نخوته سر الرجولة الغامض وياما أخرجت نساءنا أبطالًا من البيوت

فدعانا إلى الجنة طالبين شهادةً معلقة أسماءهم على صدورهم بكروت

فمال البحر لا ينجب إلا الجواهر ولكن أرضنا أنجبت ذهبًا وياقوت

فزماننا زمان أبطال ومعجزات كما زمان هاروت وماروت

وما هو إلا اسمك يا عبد الباسط الساروت

أبا العلاء يا راقداً تحت الثرى

انهض واشفع ... كما شفعت لمعرة النعمان

بلادك صارت مُدَمَّره.... كما يشتهى لها العدوان

وضاع أهلها على أطراف طرق... وفي كل البلدان

لم تعد المودة بينهم ولم يعد بينهم لأحب ولا خلان

هدت مبانيها .. وحفرت طراقتها .. حتى أصبحت من النسيان

لا مآذن منها ولا آذان.... ولا أصوات لأهلها فيها ولا صوت المطرقة أو سندان

ولم يعد لهم منها إلا حسره وبكاء عينان انهض وانظر .... ألم تحس كما حسست من أزمان

هذه معرتك.... منها نبت ... ومنها كتبت رسالة الغفران

أنسيت من رفعك إلى العلا... إنها الأرض ومحبة الأوطان

نم فَإِنَّكَ ميت....

ولا يفيد الميت الأحياء بزمان

ولكِنْ أُذَكَّرُكَ لتنسى فإن للذكرى نعمة النسيان.